

حتمية الركود الحضاري العربي بين النظرة الفلسفية الغربية والحقيقة التاريخية

د. بن مصطفى دريس / جامعة مولاي الطاهر سعيدة سعيدة

د. فيدوح ياسمين / جامعة عبد الحميد بن باديس مستغانم

ملخص:

يتناول المقال جانبا من أهم المشاكل التي يعيشها الوطن العربي عموما، وبدرجات مختلفة بين بلدانه، انما - مشكلة التخلف والركود الحضاري- والتي أصبحت تشكل عقدة لشعوبه وخاصة الأجيال التي عاشت مرحلة ما بعد الاستقلال، في ظل التفاوت الكبير بين عالم الشمال وعالم الجنوب وحالة الاغتراب الفكري التي ألت بنسبة كبيرة من شبابه، بسبب ما ينفثه الغرب المسيحي من أفكار سامة جعلتهم يشكّون في قدراتهم على الابداع والنهوض بأوطانهم، دون البحث في أسباب ذلك ودون العودة الى التاريخ العربي والإسلامي للاستئناس به وأخذ العبر واستلهام الدروس، لشحن الهمم والنفوس من خلال الاطلاع على تاريخ وحضارات لا تزال معالم الكثير منها قائمة وشاهدة عليها الى يومنا هذا، خاصة ان الوطن العربي يمتلك من الطاقات والإمكانات التي تؤهله ليكون قوة اقتصادية وحضارية

الكلمات المفتاحية:

حضاري؛ عربي؛ نظرة فلسفية؛ غربية؛ حقيقة تاريخية.

مرّ العالم العربي عبر تاريخه بالعديد من الفترات المشرقة، وقامت على أرضه وعلى الأراضي التي خضعت لحكم العرب المسلمين جملة من الحضارات التي مسّت الجوانب الاجتماعية، الاقتصادية، القيمية والدينية، لكنه وفي نفس الوقت نجده تاريخاً حافلاً بالفتن والثورات والأحقاد التي كانت إما تعصبا للعرق أو الأصل أو استئثارا بالحكم وحب السيطرة والتوسع على حساب الغير، فأثرت على أوضاعه السياسية والحضارية وأفضت الى انتهاء وأفول دول وحضارات عربية إما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، وإن كان ابن خلدون يرى في ذلك حتمية تاريخية عبر نظريته المسماة بالتعاقب الدوري للحضارات، فكل تلك الأسباب مجتمعة أسهمت في كبح وتيرة تطوره الحضاري، وهو اليوم يعيش حالة من الركود في ظل النهضة أو الهبة الحضارية التي تكاد تكون عالمية.

وهناك من الفلاسفة من يرى بأن عامل الدين يعد من أهم الأسباب التي أدت الى التحجر أو الجمود الحضاري العربي وخاصة في العصر الحديث، وعلى رأسهم رينان أرنست الذي يقول بأن الشرط الوحيد لتحقيق الحضارة والتقدم لديهم هو موت الاسلام ميتافيزيقيا والقضاء عليه في هذه البلاد، بينما نجد هيجل يردّ سبب تلاشي الحضارة العربية والإسلامية إلى خمود الدين في نفوس أصحابه شيئا فشيئا وحلول أقباح الأهواء محل الحماس الذي زرعه فيهم.

إن الواقع المرير الذي يعيشه الوطن العربي حاليا يجسد ويؤكد بنسبة كبيرة ما نظّر له بعض فلاسفة ومفكري الغرب، إلى درجة ذهب فيها البعض إلى القول بأن العرب عنصر أو شعب غير قابل للتحضر والتطور وخاصة في الجوانب المادية، ومن خلال هذا العرض سنحاول استنطاق التاريخ العربي للرد على هذه المزاعم من خلال الاشكالية التالية: ماهي الأسباب الحقيقية للانتكاسة الحضارية العربية؟ وماعلاقة العرق والدين بذلك؟ وكيف يمكن استغلال هذا الرصيد التاريخي (من الاشعاع والإخفاقات) في تحقيق اقلاع حضاري عربي؟

التحديد الجغرافي والاصطلاحي للعالم العربي:

إن محتوى الموضوع المطروح للبحث يتطلب منا تحديد الموقع الجغرافي للعالم العربي، وبيان المعنى الدقيق للمصطلح، إذ اتسع مدلول لفظة العرب خاصة خلال القرون الثلاثة التي تلت ظهور الإسلام، ففي الأزمنة القديمة التي سبقته - أي الجاهلية - كان سكان شبه الجزيرة العربية شعبان: أحدهما كان معظمه من القبائل الرّحل المتنقلين في البلاد الممتدة من نهر الفرات حتى الحدود الجنوبية للحجاز، والآخر يحى معظمه حياة مستقرة في مرتفعات الجنوب ببلاد اليمن وحضرموت.

أما لفظ -عرب- في معناها السلّاتلي الاثنوغرافي فيطلق على الشعب الأول والذي هُجر اليوم، وأصبحت لفظة عرب وعبرة العالم العربي تستعملان في مجال توسع كثيرا¹.

لم تكد تمضي مائة سنة على وفاه النبي محمد صلعم حتى تشكلت امبراطورية عربية مترامية الأطراف، امتدت من شبه الجزيرة الايبيرية- اسبانيا- غربا على طول السواحل الجنوبية للبحر المتوسط إلى ضفاف نهر السند وبحر آرال في الشرق، ورغم مصاعب الفتوحات وعدم استقرارها إلا أنها حفظت نفسها في نطاق هذه الحدود المترامية زما طويلا كان كافيا ليطبعها بطابع عربي قار، وسجل الحكم العربي فصلا رائعا في تاريخ الانسانية، ولم تكن عظمة العرب في عملية الفتح فقط، بل في منحهم تلك البلاد حضارة جديدة اصطبغت بالصبغة العربية، فأصبح سكان تلك المناطق يكتسبون اللغة العربية بالتدريج حتى حلت محل لغاتهم الاصلية واختلط الدّم العربي بدمائهم نتيجة عمليات التزاوج².

إذن فالعالم العربي اليوم هو الأفطار التي استمر تأثير الكثرة الغالبة من سكانها بتلك المؤثرات الثقافية والاجتماعية، وبذلك لا تدخل فيه اسبانيا وجزر البحر المتوسط، لأنها حلت بها قوى أخرى طمست آثار التعريب الذي طغى عليها، كما لا تدخل فيه بلاد فارس وتركيا وأفغانستان وجميع البلاد التي تقع خلف السند ونهر جيحون حيث لم تكن العربية لغة قومية.

مع أننا نجد ابن خلدون في مقدمته يحصر العرب في سكان الصحاري في قوله: ((إلا أنّ العرب أبعد نجعة وأشدّ بدواة، لأنهم مختصون بالقيام على الابل فقط)) وأنهم أكثر توحشا من أصحاب المدن لما تتطلبه حياة الرعي وقساوة الطبيعة³، وبذلك فهو يقصد سكان شبه جزيرة العرب وما تآخها من الأراضي. فهو تلك السلسلة المتصلة من الاقطار الممتدة من شواطئ الاطلسي غربا على طول الساحل الجنوبي للبحر المتوسط إلى حدود بلاد فارس شرقا، أي ساحل إفريقيا الشمالي من مراكش الى مصر ثم بلاد الشام والعراق ثم شبه جزيرة العرب⁴.

مفهوم الحضارة :

تعددت التعريفات التي خصّت الحضارة، فهي في اللغة العربية تعني الإقامة في الحضر بخلاف البدواة التي تعني الإقامة في البوادي، ومع أن استعمال هذا اللفظ قديم، فإن أول من أطلقه على معناه القريب هو عبد الرحمن بن خلدون وذلك حين ميّز بين العمران البدوي والعمران الحضري، وجعل أجيال البدو والحضر طبيعة في الوجود،

¹. جورج انطونيوس، يقظة العرب ، ترجمة ناصر الدين الأسد وإحسان عباس، دار العلم للملايين، بيروت، ط8، يناير 1987، ص72.

². نفسه، ص-83-84.

³. عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1998، ص126.

⁴. جورج انطونيوس، المرجع السابق، ص 77.

وأنّ البداوة هي أصل الحضارة، والبدو أقدم من الحضرة¹، وأنّ خشونة البداوة قبل رقة الحضارة، فوجد التمدّن غاية للبدوي يجري إليها²، ويعرّف البدو بالمقتصرين على الضروري في أحوالهم، العاجزون عما فوقه، وأنّ الحضرة هم المعتنون بحاجات الترف والكمال في أحوالهم وعوائدهم³.

وحسب مالك بن نبي فإن الحضارة في العصر الحديث تأخذ معنيين: الأول موضوعي مشخص، والآخر ذاتي مجرد، أما الأول فهو إطلاق لفظ الحضارة على جملة من مظاهر التقدم الأدبي والفني والعلمي والتقني التي تنتقل من جيل إلى جيل في مجتمع واحد أو عدة مجتمعات متماثلة، فنقول الحضارة الهندية والحضارة العربية والحضارة الأوروبية، وهي بهذا المدلول متفاوتة فيما بينها، ولكل حضارة نطاقها وطبقاتها ولغاتها⁴.

أما الحضارة بالمعنى الذاتي المجرد فتطلق على مرحلة سامية من مراحل التطور الانساني المقابلة لمرحلة التوحش والهمجية، أو تطلق على الصورة الغائية التي نستند إليها في الحكم على صفات كل فرد أو جماعة، ومنه فإن الفرد المتصف بالخلال الحميدة المطابقة لتلك الصورة الغائية كان متحضرا، وأنّ الجماعات أيضا تتفاوت في درجة التحضر بحسب قربها من هذه الصورة الغائية أو بعدها عنها⁵.

وللحضارة رموز تعرف بها وروايز تقاس عليها، وأهمها الجانب الانساني والروحي والأخلاقي، فالفراغ الروحي الكبير الذي تعانيه مدينة الغرب والنظرة المتدنية للإنسان خارج ديارهم جعل المادة تفترس كل شئ كنا ان التقدم العلمي المادي لوحده قد يشبع حاجات الأجساد ولكنه لا يطفئ ظمأ النفوس على غرار ما يحدث حاليا في دول أوروبا والولايات المتحدة، إذ صحت التقدم العلمي تأخر حقيقي وانحطاط مريع في الأخلاق⁶.

ان المعيار السليم الذي يجب أن تقاس عليه وبه مستويات التحضر للأمم هو النظرة للإنسان وموقعه ومكانته في اطار هذه الحضارة وفي اطار الفلسفة السياسية والاجتماعية السائدة، وهذا ما تفتقده مدينة القرن العشرين والواحد والعشرين التي أصبحت المظاهر العمرانية والإنتاج بكل أنواعه هو كل همها .

مقولات الركود والتحجر الحضاري العربي:

لقد دار في أوائل القرن العشرين جدل حول الحضارة العربية الاسلامية وآثارها في أوروبا، ومن بين أولئك الذين مثلوا أدوات لذلك نجد أميريكو كاسترو وسانشيث البورنوث، فإن كان الأول يرى بأن إسبانيا -التي نعتبرها

¹ .جيلالي بوبكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، باب الواد الجزائر، ط2010، ص34.

² . رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1988م، ص50.

³ . عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، ص127.

⁴ . جيلالي بوبكر، المرجع السابق، ص35.

⁵ . نفسه، ص35.

⁶ . شوقي ابو خليل، الحضارة العربية الاسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان-دار الفكر دمشق -سورية، ط2002، ص9.

نحن المسلمون منفذا للتأثيرات العربية الاسلامية نحو غرب أوروبا خاصة- مدينة للحضارة العربية، فالثاني يرى أن المسلمين هم السبب الذي أدى إلى تخلفها عن بقية بلدان أوروبا¹.

ربما يصدق قول هذا الأخير إذا نظرنا إلى آثار انسحاب المسلمين من المنطقة تحت ضربات حروب الاسترداد ومحاكم التفتيش التي طالت بقايا المسلمين في الأندلس عامة وفي غرناطة بصفة خاصة، والذي أحدث فراغا ونكوصا كبيرا في جميع الميادين وخاصة في الميدان الاقتصادي نظرا لهجرة الأفراد وهجرة خبراتهم معهم والتي أفادوا بها بلاد المغرب التي كانت وجهة لهم فأثر ذلك سلبا على المنطقة .

كما نجد أعداء الحضارة العربية والناكرين لتأثيراتها في أوروبا واسبانيا خاصة يصورون المنطقة قبل الفتح الاسلامي منطقة مزدهرة في جميع المجالات وخاصة في المجال الفكري والعمراني، وان الناس هناك كانوا يستمتعون برخاء ظاهر في كل نواحي الحياة، وأن الزراع والصناع عاشوا في رفاية لا يكاد الحكام يعسفونهم في شيء، وأن موارد البلاد كانت في ازدياد، وأن العصر على العموم كان عصر نهضة اسبانية مسيحية²، وهذا حتى لا يتضح أثر الحضارة العربية الذي لا ينكره إلا جاحد، ونجد رينهارت دوزي يفنده بقوله: أن اسبانيا كانت وقت أن تطلعت إليها أنظار المسلمين شديدة الضعف ميسرة تماما على من يغزوها، وأرجع ذلك إلى ما كان عليه مجتمعها من وضع مؤلم يتسم بالوهن الذي لم يكن جديدا عليها، بل كان متأصلا فيها منذ وقت بعيد³، أي تحت حكم القوط الذين لم يغيروا شيئا كثيرا من أحوال المجتمع الاسباني في العصر الروماني، كما لم تنعم البلاد تحت حكمهم بنصيب كبير من الطمانينة والرخاء لأن العصر كله كان عصر فوضى واضطراب في أوروبا كلها⁴.

وثمة أيضا ما يغري الكثيرين من مؤرخي أوروبا والغرب عموما بعد الكتابة عن غزوات الالمان والسلافيين والمجريين والاسكندنافيين بأن ينظروا إلى الفتح العربي لشبه الجزيرة الايبيرية على أنه غزو همجي⁵، ونجد مونتغمري وات يقف ضد ذلك ويقول بأن الاسلام لم ينتشر بالسيف، وأن اليهود والصابئين والنصارى وغيرهم ممن اعتبرهم الاسلام موحدين عوملوا معاملة خاصة باعتبار أن ديانتهم قريبة الصلة بالإسلام، ويضيف بأنهم عاشوا في كنف الحكم الاسلامي في أمان وسلام مقابل دفع جزية للحاكم المسلم والتي كانت أحيانا أقل مما كانوا يدفعونه لحكامهم⁶.

¹. مانويلا مانتاناريس، المستعربون الاسبان، ترجمة وتقديم جمال عبد الرحمن /المجلس الاعلى للثقافة القاهرة 2003، ط1، ص6

². حسين مؤنس، فجر الاندلس، الدار السعودية للنشر والتوزيع، ط2، جدة، السعودية 1985، ص21.

³. رينهارت دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبشي، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر 1994، ص27.

⁴. حسين مؤنس، فجر الاندلس، ص21.

⁵. وات مونتغمري، فضل الاسلام على الحضارة الغربية، نقله إلى العربية حسين أحمد أمين، ط1، دار الشروق، بيروت 1983، ص19.

⁶. نفسه ص15.

ونجد شارل سنيوبوس أحد أساتذة كلية السربون يؤكد أن الجنس الأبيض يعد من الشعوب المتحضرة إلا قليلا منهم، أي حسبته فان التخلف عند الشعوب البيضاء هو الاستثناء أما سائر الأجناس فقد ظلوا على حالة الحمجية والبربرية كما كان الناس في زمن ما قبل التاريخ¹، إنها هجمة كبيرة على الحضارة العربية ليتجرأ لون وايت lunn white على القول بتفوق التقنية الأوروبية على التقنية العربية في العصور الوسطى، ورغم عدم وجود دليل قاطع على صدق مقولته إلا أنه أصبح مرجعا يعتمد، وتمادى بالقول أن كل انجازات الصين وصلت من شرقي آسيا الى أوروبا مباشرة، ولم ينقلها العرب المسلمون بعد تطويرها وتحسينها².

ربما يجد أعداء العرب وحضارتهم ما يستندون إليه في التاريخ وخاصة في فترة الجاهلية وبداية الحكم الاسلامي ببلاد المغرب، حيث تميزت بضعف المباني وقلة المدن الكبيرة وانعدام الآثار العظيمة، والذي يعلله ابن خلدون بسببين أساسيين: يتمثل الأول في أن العرب والبربر من البدو البعيدين عن مواطن الحضارة لم تتح لهم الفرصة لينقلوا هذه الحضارة عن غيرهم من الأمم، وأن الأمم المتحضرة التي حكمتهم لم يطل الزمان بحكمها حتى ينقلوا عنها هذه الحضارة، فبقيت مبانيهم أقرب الى الاكواخ والخيام بل والى الغيران في الجبال.

أما السبب الثاني فيتمثل في الاسلام الذي لم يشجع على هذا النوع من الترف، ودعى إلى ملازمة الاعتدال وعدم الاسراف في البناء إلى درجة البذخ والتبذير، أضف الى ذلك عدم استقرار الدول في بلاد المغرب وقصر عمرها بحيث لا يمكن الدولة من أن تصل الى العظمة التي تحقق آثار الحضارة³.

ونجد أرنست رينان أشد الفلاسفة عداء للعرب وحضارتهم يؤكد السمة الدينية الروحية للأقوام السامية بوصفها رديفا لترديتهم في الجدل العلمي وقصورهم في الحقول العلمية العقلية والمنطقية فيقول بصراحة ((ان الساميين منحوا الآرين أكثر الأفكار الدينية بساطة وسموًا، بينما منح الآريون الساميين الأفكار الفلسفية والعلمية التي كانت تنقصهم))، ويتمادى في التعميم الاثني الجارف لدرجة الادعاء بأن الساميين، كما هي عليه الحال في اللغات السامية ليسوا مخلوقات حيوية، ويطور في جدله إلى درجة الادعاء بأن جل أو جميع المنجزات الفكرية والعقلية التي قدمتها الحضارة العربية الاسلامية إنما هي من نتاج المسلمين الآرين الذين أدخلوا الاسلام عنوة، ولقد

¹. شارل سنيوبوس، تاريخ الحضارة، تعريب محمد كرد علي، ج1، مكتبة الظاهر، القاهرة 1908، ص1.

². شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص6.

³. انظر عبد الرحمن بن خلدون، المصدر السابق، ص350-351، أو عبد الله شريط، نصوص مختارة من فلسفة ابن خلدون، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1984، ص84.

وجد التمييز بين الآرية والسامية صدها عبر المحيط الاطلسي في اعتزاز-رالف والدو امرسون- Emerson بالتراث الرجولي الآري في قوله الشهير ((الدين والشعر هما كل حضارة العرب))¹.

ونجد المؤرخ جيون gibbon يقول ((..... شعب قد لا نجد له أثرا على خارطة العالم، لقد بقي الساراسين -العرب - الذين مدوا فتوحاتهم بين الهند واسبانيا طي النسيان حتى نفخ محمد في أجسادهم الخشنة روح الحماسة))² ففي هذا تقليل من شأن العرب بأنهم قوم همج بعيدون عن التحضر، وأن التحضر الذي حصل كان بفعل الدين، ويوافق هذا رأي رينان بأن العناصر الاسلامية غير العربية هي التي قدمت الانجازات الحضارية، ويأتيه الرد غير المباشر من المستشرق هونكة في قولها: ((هذا الكتاب يتناول العرب والحضارة العربية ولا أقول الحضارة الإسلامية ذلك أن كثيرا من المسيحيين واليهود والمزديين والصابئة قد حملوا مشاعلها أيضا بل أن كثيرا من تحقيقاتها العظيمة الشأن كان مبعثها احتجاجا على قواعد الاسلام القويمة بل أضف لذلك أن كثيرا من صفات هذا العالم الروحي الخاصة كان موجودا في صفات العرب قبل الاسلام))³

دلائل ومظاهر الحضارة العربية:

إن الدراسات المستمرة إلى يومنا هذا تؤكد بكل صدق أن لحضارة العرب و الإسلام فضلا كبيرا وتأثيرا عريضا على الحضارة الاوروبية منذ بدايتها في عصر النهضة، ويستمر هذا التأثير مع كل تطورات وتقدم الحضارة الغربية الاوروبية حتى وقت قريب جدا⁴ ، ونجد وات منتغومري منصف للعرب وحضارتهم في قوله بأنه من الواجب أن نجمع بشدة أي ميل إلى تشبيه العرب بأولئك الآخرين، أي الألمان والسلافيين والمجريين، صحيح أن العرب وحلفائهم من البربر لم يكونوا وقت الفتح على مستوى أعلى من الغزاة الآخرين الذين كانوا ينتمون الى مجتمعات ذات تنظيم يقوم على أساس قبلي، بينما مثل العرب امبراطورية باتت خلال القرن أو القرنين التاليين صاحبة أعظم حضارة وثقافة في تلك المنطقة الشاسعة الممتدة من المحيط الأطلسي إلى افغانستان⁵.

ونجد هونكة تقول بأنه وعلى الرغم من ذلك -أقولها بمرارة -فان الناس عندنا لا يعرفون إلا القليل عن جهودكم الحضارية الخالدة ودورها في نمو حضارة الغرب، لهذا صممت على كتابة هذا المؤلف، وأردت أن أكرم

¹ محمد الدعبي، الاستشراق -الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الاسلامي، ط2، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 2008، ص 62-63.

² نفسه، ص34.

³ زيغريد هونكة، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الالمانية فاروق بيضون وكمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، ط8، دار الجيل -دار الافاق الجديدة، بيروت 1993، ص13.

⁴ أحمد الشامي، محمد عبد العظيم أبو النصر، الحضارة الاسلامية انتشارها وتأثيرها في الحضارة الأوروبية، المهندسين مصر 2006-2007، ص 199.

⁵ وات منتغومري، المرجع السابق ، ص 19.

العبقريّة العربيّة وأن أتيح لمواطنيّ فرصة العود الى تكريمها، كما أردت أن أقدم للعرب الشكر على فضلهم، الذي حرمهم من سماعه طويلا تعصب ديني أعمى أو جهل أحمق¹

ويقول جورج أنطونيوس أنه في القرنين اللذين سبقا ظهور المسيح كانت بعض القبائل العربيّة تحكم في حمص والرّها وفي البلاد المتاخمة لساحل البحر الأبيض المتوسط، بل شهد القرن الثالث الميلادي قيام مملكتين عربيّتين مزدهرتين في تدمر والحيرة، وفي القرن السابع الميلادي لما جاء الفاتحون العرب تحت راية الاسلام ومزودين بقوة روحية، لم يستطع أن يقف شيء في طريق تلك القوة فأنهار النظام القديم للحضارات ذات الأصول المتعددة اليونانية والآرامية في بلاد الشام، والساسانية في العراق واليونانية القبطية في مصر، وفسح المجال للعقيدة الجديدة²، وفي هذا اعتراف واضح وصريح بعراقة الحضارة لدى الجنس العربي.

ثم تردف زيغريد قائلة: فقد شاء القدر الذي صنعه العرب بأيديهم ان تكون إمبراطوريتهم مسرحا لحضارة مادية باهرة وثقافة علمية فكرية زاهرة وشاء لها موقعها الجغرافي أن تكون مركزا أساسيا للتجارة العالمية، ففيها كانت تصب الطرق التجارية الكبيرة التي تصل الغرب بالشرق والشمال بالجنوب طاوية في أضلاعها المسافات الشاسعة ولافة الدنيا لقا موصلة بضاعة العالم على ظهر قوافل الحمير أو الجمال إلى أقاصي الأرض...³.

ولا عبرة بما يقال بشأن العرب قبل الاسلام وما يروى من فتوحات لهم وما ينوه به من أخلاق عظام في الجاهلية فهذه قد كانت ولا تزال آثارها ظاهرة ولا شك في مدينة العرب القديمة، وأنما من أقدم مدنيات العالم ومما يرجح ذلك أن الكتابة بدأت عندهم، ولكن دائرة تلك المدنية كانت مقصورة على الجزيرة وما جاورها⁴.

لقد بلغ العرب درجة كبيرة من الترف الحضاري لدرجة التكاثر المادي، فبينما كان عبد الحكم بن عبد الرحمن الناصر يناضل من أجل تكوين أعظم مكتبة عرفها العالم كله تتكون من أربعمئة ألف مجلد كان والده عبد الرحمن الناصر يتجه بفكره الى طريق آخر كان يراه الأصح لبلوغ المجد والعظمة ويراه الترجمة المعبرة عن الواقع الرائع الذي تعيشه الأندلس في عهده في ظل تنوع ووفرة مصادر الثروة المادية بالمنطقة وشساعة المساحة⁵.

ففي الوقت الذي كانت قرطبة تزدهر بشوارعها الممتدة أميالا عديدة مبلطة ومضاءة بالمصابيح العامة لم يكن في لندن مصباح عمومي واحد، وكانت جامعة أكسفورد في إنجلترا تعتبر الاستحمام عادة وثنية⁶، ويقول

¹. زيغريد هونكه، المرجع السابق، صفحة 9.

². جورج أنطونيوس، المرجع السابق، صص 83-84.

³. زيغريد هونكه، المرجع السابق، ص 320.

⁴. شكيب أرسلان.. لماذا تأخر المسلمون وتقدم غيرهم. مصر: مطبعة المنار 1349، ص 9.

⁵. عبد الحليم عويس، التكاثر المادي واثره في سقوط الاندلس، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة، مصر 1994، صص 5-6.

⁶. محمد بشير، المرجع السابق، ص 62.

المقري التلمساني في ذلك: "ان العمارة اتصلت في مباني قرطبة والزهاء الزاهرة، بحيث أنه كان يمشى فيها لضوء السراج المتصلة عشرة أميال" ¹ .

وفي المقابل لأولئك الغرب المنكرين على العرب حضارتهم نجد منهم المنصفين لهم أمثال ارفنغ صاحب مقولة-أيتها الأندلس أرى فيك أمريكا- و الذي أصبحت له نظرية في الوجود العربي الاسلامي في اسبانيا، فيقول: جثمت القرون الثمانية التي شهدت بقاء العرب المسلمين في شبه الجزيرة الايبيرية على الذاكرة الجماعية الغربية بشكل مؤلم، فهي تذكير مستند بتخلف أوروبا العصر الوسيط، وهاجس وسواسي لما تكمن عليه الحضارة العربية الاسلامية من طاقات خزينة مستقبلية، فعبر تاريخها برمتها لم تتعرض أوروبا لسيطرة أجنبية يمثل هذا التواصل الزمني غير المنقطع والتفوق الحضاري الواضح، كما لم تشعر بالهوان والتراجع مثلما عاشته ازاء ثقافة دخيلة عليها علمتها ما ضاع منها من علوم القدماء وزادتها مما أبدعه العقل العربي والمسلم ² .

ان العرب في اسبانيا تركوا ما يشهد لهم بالحضارة المادية والروحية، فمن يزورها الآن وتبهره قلعة تآكزار (القصر) في اشبيلية أو قصر الحمراء في غرناطة سيكون فكرة عن الحياة الرغدة التي كان يحياها الناس في الماضي ³ ، وهذا دليل قاطع على الحضارة، لأن الترف مظهر من مظاهر الحضارة، وللأسف سبب من أسباب زوالها حسب ابن خلدون في نظرية التعاقب الدوري للحضارات ⁴ .

إن الحضارة العربية الاسلامية رغم ما حققته من انجازات مادية وروحية لا زالت تشهد عليها الى يومنا هذا في مناطق مختلفة من العالم، لكن رغم ذلك فإنها لم تنصف من قبل الغرب وحتى من طرف بعض العرب والمسلمين، الذين راحوا يشيدون بما أنجزه الهنود والصينيون، وكذا في حديثهم عن المعجزة اليونانية ⁵ ، ان الحضارة العربية التي قامت على ضفاف الأنهار كالمصرية على النيل والبابلية ببلاد الرافدين القديمة أقدم منها وتعد نواة لها وللعديد من الحضارات الأخرى، كما إن قصر الزهاء الذي اشتغل في بنائه عشرة آلاف رجل وثلاثون ألف دابة وزعموا أن له خمسة عشر ألفا وأربعة آلاف سارية جلبت من اليونان وإيطاليا وإفريقيا وغيرها، والإيوان الأوسط كانت سواريه من المرمر والحجر الشفاف، وكانت رؤوسها مرصعة بالؤلؤ والياقوت وحديد سقفه من الذهب

¹ . احمد المقري التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت لبنان 1988 ج 1، ص456.

² . محمد الدعبي، المرجع السابق، ص 153.

³ . وات منتغومري، المرجع السابق، ص 37.

⁴ . أحمد محمود صبيح، المرجع السابق، ص 141.

⁵ . شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 99.

والفضة، وجدرانه وقبته من العقيق اليماني¹، وأمورا أخرى تدهش لها عين الإنسان لإنجازات تجعلنا نفخر بما قدمه العرب وتحفزنا على الاقتداء بهم.

نعم ما ترك العرب المسلمون مجالا إلا وأبدعوا وابتكروا فيه، ففي علم الجغرافيا أبدعوا في رسم المصورات الجغرافية التي زاروها أو عرفوها، ورسموا المصورات للبحار التي جابوها ووضعوا المعاجم الجغرافية التي ما زالت معتمدة الى يومنا هذا وطوروا الاسطرلاب وعرفوا كروية الأرض وقاسوا ابعادها بدقة².

وفي العلوم الكونية ظهر عدد من الأطباء العرب المسلمين الذين ساهموا في النهضة الطبية وأشهرهم سنان بن ثابت رئيس اطباء بغداد، وأبو بكر محمد بن زكرياء الرازي الذي يعد من أئمة صناعة الطب الذي كتّاب اللاتينية رازيس -rhazes- الذي تولى رئاسة البيمارستان المقادري في بغداد وابن سينا الذي له عند الأوروبيين مكانة رفيعة واشتغل بالعلم الطبيعي والإلهيات، ثم درس علم الطب فكان المرجع في الفلسفة والطب والعلم الطبيعي.

أما في مجال الكيمياء والصيدلة فقد شغلت فكرة تحويل المعادن الخسيسة الى معادن ثمينة خالد بن يزيد الاكوي، فتحمس الكثيرون لإجراء التجارب الكيميائية فيما عرف بعلم الصنعة، فبرز من أعلام الكيمياء والصيدلة جابر بن حيان الكوفي الذي بلغت تصانيفه مائتان واثنين وثلاثين كتابا ترجم قسم منها الى اللاتينية وهو اول من استخرج زيت الزاج أو حامض الكبريتيك³.

كان أطباء العرب أول من وصف القهوة كدواء للقلب، كما كانوا أول من وصفها بشكلها المطحون الناعم كعلاج لالتهاب اللوزتين والجروح الملتهبة، ووصفوا الكافور لإنعاش القلب وغير ذلك، ووصفوا التمر الهندي وعود الند وغير ذلك كأدوية خفيفة الوطأة ومحبة الى النفوس بدل الوصفات القوية التقليدية التي كان يصفها الأطباء اليونانيون علاجا ضد التقيؤ والإسهال والتي كانت تترك غالبا أثرا خطيرا للغاية في جسم المريض، وهذه امثلة بسيطة من كم هائل لا يمكن حصره في هذا البحث نختمه باعتراف لوبون الذي قال: "ومن المسلمين في الاندلس تعلمت أوروبا أيضا قواعد الفروسية وتقاليدها وخصالها العشر، الصلاح والكرامة ورقة الشمائل والقريحة والفصاحة والقوة والمهارة في ركوب الخيل والقدرة على استعمال السيف والرمح والنشاب"⁴.

موقوفات التحضر العربي:

¹. عبد الحلیم عویس، المرجع السابق، ص 5.

². شوقي أبو خليل، المرجع السابق، ص 499.

³. نفسه، ص ص 511-521.

⁴. محمد بشير حسن راضي العامري، مظاهر الابداع في التاريخ الاندلسي، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الاردن 2012، ص 62.

إن لتخلف العالم العربي ما يبرره تاريخيا وخاصة في العصر الحديث الذي شهد اختلالات في موازين القوى السياسية والعسكرية والحضارية، فالدولة العثمانية التي اخضعت لسيطرتها تحت ذريعة حمايته من الغزو الصليبي الاسباني والبرتغالي خاصة، فرضت عليه العزلة وحرمت شعوبه من الاتصال بالحضارة الأوروبية الناهضة بدعوى الخوف على تلك الأقطار من الأطماع الاستعمارية، فإذا كانت تلك الاقطار قد استفادت ببقائها بعيدة عن تلك الاطماع قرابة الثلاثة قرون، فإن العزلة التي عاشتها قد جعلتها تتخلف مئات السنين عن البلدان الأوروبية الناهضة رغم ان هناك من يرى بان العرب هم من رفضوا تقبل كل ما يأتي من الغرب المسيحي الملحد¹.

نعم لقد لبث الوطن العربي ما يزيد عن ثلاثة قرون تحت النفوذ العثماني بغض النظر عن طبيعة هذا النفوذ الذي يراه البعض حماية كما هو الحال بالنسبة لأهل المغرب، واحتلالا بالنسبة للمشاركة، وهذا ما كان له أثره البالغ عليه في هويته ولغته وثقافته ومساره وطابعه الحضاري، وخاصة في المرحلة الاخيرة من مراحل التي تسلمت مقاليد الحكم فيها جمعية الاتحاد والترقي وتعاضمت إبانها حركة التعصب الطوراني ضد العروبة وتم ارتكاب جرائم الاعدامات بحق الوطنين العرب وغيرهم، هذه الفترة التي لم تتعد الثماني سنوات (1908-1916) لكنها طبعت التاريخ العثماني برمته في الأذهان بالصور الدموية من جور وعسف وإعدامات وفظائع.

ولم يخرج الوطن العربي من ربة الوجود التركي إلا ليدخل تحت سيطرة من نوع جديد إما لبلادة أو سوء تقدير كما حدث في شبه الجزيرة العربية والمشرق العربي عموما حينما أعلن العرب الحرب ضد الأتراك الى جانب الانجليز في الوقت الذي كانت تحاك ضدهم أسوء اتفاقية أو مؤامرة وهي سايكس بيكو 1916م التي قسّمت المشرق العربي إلى مناطق نفوذ والتي ما تزال تداعياتها مستمرة الى يومنا هذا، فدخل تحت الانتداب الأوروبي ومغربه إما تحت الاستعمار الاستيطاني أو تحت الحماية والذي عمل على طمس كل معالم الشخصية العربية الاسلامية وربطه اقتصاديا وسياسيا وثقافيا به، ومن مظاهر هذه التبعية سياسيا أنظمة الحكم الفاسدة المستبدة التي حكمت تلك البلاد بعد الاستقلال، وأبدت ولائها للكروسي بدل الوطن، لتصبح أداة طيعة في يد الاستعمار أو الامبريالية العالمية المستأثرة بخيرات البلاد العربية، ورغم انتقال العالم إلى الانظمة الديمقراطية الحرة إلا أن البلدان العربية ظلت متمسكة بتلك الأنظمة البالية مع أنها أعلنت في وقت متأخر الانتقال نحو الديمقراطية والتعددية، فلم تتغير سوى التسمية والدليل على ذلك تمسك رؤسائه بكرسي الحكم إلى غاية الوفاة أو الاعتقال، ثم توريث السلطة لتقتل في النفس كل المحاولات الابداعية أو التنموية، بدليل هجرة الأدمغة العربية الى عالم الشمال ونجاحها هناك.

¹ هاميلتون غب وهارولد باون، المرجع السابق، ص 26.

أن التنمية حسب روجرز ومفهومها الشامل هي أسلوب للتغير الاجتماعي يسمح من خلاله للأفكار الجديدة أن تنتشر داخل النظام الاجتماعي بهدف تحقيق عائد مادي أكبر أو تحسين المنظمات الاجتماعية، وهذا ما لم يتحقق ولم يسمح له بالبروز على أرض الواقع لأنه حتى وإن أعلن عن اصلاحات أو تغييرات فهي في مجملها شكلية تفتقد الى الروح الاصلاحية الصادقة.

إن الحضارة ظاهرة إنسانية تتشكل من الانسان والتراب والوقت، فإذا كانت مشكلة الانسان في الحضارة من حيث عناصرها وشروط بنائها وأسباب هدمها فان هذه القضايا تطرح تساؤلات ترتبط بالإنسان والتراب والوقت من جهة، وبالحيط الذي يعيش فيه الانسان من جهة أخرى، وهو يختلف من مكان لآخر ومن مرحلة تاريخية لأخرى¹.

كما أنه لابد من عوامل خارجية مستثيرة، حينئذ تصبح هذه العوامل ظروفًا ملائمة لميلاد حضارة جديدة، اذ تنبثق فجأة وتستيقظ فيها روح جديدة زاخرة بإمكانيات خصبة وتخرج الى حيز الوجود في بيئة يكون ما حولها في فوضى مطلقة فتمتد في خطوط رائعة في شتى المجالات من لغة ودين وعلم وفن².

على أنه يحدث أحيانا حينما تتلاقى حضارتان وتكون احدهما أشد قوة ولكن الأخرى أعظم ابداعا وأكثر عراقة أو على الأقل مساوية لها أن تضطر المهزومة لان تتلاءم ظاهريا مع الحضارة الغالبة ما دامت لا تستطيع أن تنمو معبرة عن طبيعتها الخالصة وتتشكل مظاهر هذه الحضارة في القوالب الفارغة الى فرضتها عليها الحضارة الاجنبية³، هذا ما تعيشه البلاد العربية فهي تكتسب مظاهر الحضارة بنسبة كبيرة، لكنها ليست أصيلة بل مستوردة، نعم لقد فرضت الحداثة على العربي من الخارج، وهذا مصدر الكثير من المشكلات التي يعاني منها، ومن بينها كونه موزع بين التاريخي والمقدس ومحاولاته التوفيق بينهما، والتي لم تؤد سوى الى تشويهها، فقوة إيمانه تجعله يعتبر الحداثة التي تمتزج فيها اسهامات الآخر بالصراع معه موقفا.

نعم لقد عاش العالم العربي فترة استعمار طويلة تخللتها جملة من الحروب التحريرية، وبعد استقلال جل دوله لم تنته بل زادت حدة، سواء من طرف الدول الامبريالية كما حدث مع العراق في حرب الخليج أو الدول العربية فيما بينها أو بين شعب الدولة الواحدة بإثارة خارجية للتعرات الاثنية أو بدعوى بلوغ الانظمة الديمقراطية وهذا ما يقضي على كل الانجازات الحضارية ويعيق أي تقدم، وهنا نجد توينبي يؤكد أن الحرب هي السبب الرئيسي لانهاية الحضارات والمجتمعات وأن مصير المعتدي هو الفناء⁴.

¹. جيلالي بوبكر، المرجع السابق، ص 64.

². أحمد محمود صبيح، المرجع السابق، ص 254.

³. نفسه، ص 254.

⁴. رأفت غنيمي الشيخ، رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، ط1، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة 1988م، ص 179.

وتجري الآن في أنحاء العالم خارج أوروبا والعالم الغربي صراعات ثقافية وعملية تحوّل بما في ذلك الوطن العربي طبعاً، والتي يرى البعض بأنها لا تتم إلا داخل سياق دولي حددته أوروبا التي كانت منذ الحقبة الكولونيالية والامبريالية هي مصدر المنافسة الثقافية والاقتصادية على نطاق العالم، وكذا مصدر قمع وتهجين ودفع بقية العالم قسراً الى الحافة (سينغاس ديتر، 2008، صفحة 41)، لتستمر هيمنتها وبيقي العالم الثالث والعربي سوقاً لجلب وتصريف المواد الأولية والسلع.

إمكانيات الاقلاع الحضاري:

إن التنمية في مفهومها العام هي مجموعة من الوسائل أو الطرق المستخدمة لتوجيه جهود الأهالي مع السلطات العامة من أجل تحسين مستوى الحياة العامة من النواحي الاقتصادية والاجتماعية والثقافية في المجتمعات قصد اخراجها من عزلتها والمشاركة الإيجابية في الحياة القومية والمساهمة في تقدم الأمة.

يعتبر ابن خلدون ان العمل أساس الإنتاج والإنتاج أساس للتحضر، فان العمل في الأرض وما يرتبط بها من صناعات يستتبع الاستقرار بعد ترحال، فقد كان الانسان في بداوته متنقلاً من منطقة لأخرى وابتجأه إلى استغلال الأرض فقد اتجه الى الاستقرار الذي يعتبر أول أسس التحضر، اضافة الى الحكومة القوية التي تعتبر أساساً مهماً من أسس التحضر لأن الانسان المستقر يحتاج الى التنظيم والحماية حتى يطمئن على ثمار عمله فيزيد من انتاجه¹، والقاعدة العامة تقول أن عناصر التحضر وشروطه موجودة لدى كافة الأمم والشعوب، لكن استثمار هذه الشروط والعناصر والتأليف بينهما أمر يحتاج إلى شرط خاص يتمثل في التحدي عند تويني²، لأن إنشاء أي حضارة يعني وجود التحدي، أي وجود ظروف صعبة تواجه الانسان في بنائها، وعلى قدر مواجهة الانسان لهذه الظروف تكون استجابته، إما ناجحة إذا تغلب عليها، أو استجابة فاشلة اذا عجز عن التغلب عليها، فتويني يري أن الظروف الصعبة التي تتحدى قدرة الانسان وتستحثه على العمل لتكوين الحضارة تتمثل إما في بيئة طبيعية تستحثه على تغيير موطنه وخاصة اذا كانت قاسية أو جديدة فتتمثل تحدياً يحرك قوي الإبداع في الإنسان، وهذه الامور كلها موجودة في الوطن العربي، أما الذين عزفوا عن تغيير موطنهم أو تعديل طريقة معيشتهم فان الانقراض هو جزاء إخفاقهم في الاستجابة لتحدي الجفاف خاصة، وخير مثال لذلك تعمير الأرض الأمريكية على يد المهاجرين، أو تحدي الوسط أو الظروف البشرية المتمثلة في عدوان خارجي من دولة مجاورة أو جماعة

¹. نفسه، صص 56-57.

². جيلالي بوبكر، المرجع السابق، ص 50.

بشرية، وكمثال على ذاك غزو الحضارة الهلينية الذي أدى فيما بعد الى إزاحة الاسلام لها من سوريا ومصر، ثم القضاء على الدولة الرومانية الشرقية¹.

ان تعاون العمال وكثرتهم يضاف إليه النظام المحكم أو ما يسميه ابن خلدون ب-الهندام-هما سبب ما تركته الدول الكبيرة من الآثار العظيمة والمباني الخالدة التي قد تعجز دول أخرى حتى عن هدمها بالرغم من أن العملية أسهل من البناء، والتي حينما يقف أمامها بسطاء الناس لا يستطيعون تعليلها فيلجئون حينها الى الاسباب الخرافية²، كقولهم بأن من بناها عمالقة كما قيل بخصوص الاهرامات أو الجن بالنسبة للأسبان لما دخلوا قصور المسلمين في الأندلس وبالخصوص قصر الحمراء.

لعل ما ينقص العرب هو التمسك بدينهم وثوابته للعودة إلى دروب الحضارة، فتجد تويني غير المسلم يعترف بأن جميع أشكال الاستجابة لم توفق، لأن استجاباتها كانت من صنف تحدياتها حتى جاء الاسلام وانتصر على هذا التحدي الهليني وأعطى الشام حضارة عالمية في شكل الخلافة الأموية ثم الخلافة العباسية من بعدها انخيار الكيان الهليني أمام تلك القوة الفتية³، اذن فالتمسك بالدين ليس من معوقات تحضر العرب.

إن العرب بإمكانهم الانتقال من الوضع الذي يعيشونه (مرحلة النقل) مع أنه لا يستطيع أحد أن يقترح فيها على حد ما قال شكيب أرسلان: ((فأما ما ترجمته حضارة الاسلام من كتب وما أخذته عن غيرها من علوم وما أفادته في فتوحاتها من منازع جميلة وطرائق سديدة فلا يقدر ذلك في بكارتها الإسلامية ومسحتها العربية، لأن هذا شأن الحضارات البشرية بأجمعها، أن يأخذ بعضها عن بعض ويكمل بعضها بعضا، وكان نابليون الأول لشدة دهشته من تاريخ الاسلام يقول في جزيرة سانت هيلانة: إن العرب فتحوا الدنيا في نصف قرن لا غيره⁴.

فعلا أن نظرة هيجل تتوافق مع نظرة ابن خلدون في سر تحضر العرب أو افول حضارتهم في قوله ولا يؤهل القبيلة للقيام بالفتح والتغلب على الامصار شيء كالاستناد الى مبدأ ديني أو دعوة سياسية، إذ يدفعهم الايمان بالدين أو المذهب الى البذل من أجل تحقيق غايتهم فضلا عن أنه يُذهب التنافس ويزيل الاختلاف فيحصل التماسك⁵، ويكفي هنا ما اقره بعض مفكري الغرب من خلال اعترافاتهم في حق هذه الحضارة بداية

¹. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 177.

². عبد الله شريط، 1984، صفحة 81)

³. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 179.

⁴. شكيب أرسلان، المرجع السابق، ص 81-82.

⁵. رأفت غنيمي الشيخ، المرجع السابق، ص 53.

برينان الفيلسوف الفرنسي الذي قال: "انني لم ادخل مسجدا من غير أن أهتز خاشعا، أي من غير أن أشعر بشيء من الحسرة على أنني لست مسلما"¹.

يحمل توينبي أسباب انهيار الحضارة في إخفاق الطاقة الابداعية في الاقلية المبدعة التي تصاب بالعقم والقصور لتتحول الى مجرد أقلية مهيمنة فتعدل الأغلبية عن بذل الولاء لها والابتعاد عن السير ورائها ومحاكاتها في أعمالها، ويتلو تضعضع تلك العلاقة انهيار وحدة المجتمع الاجتماعية، كما يرى أنه من الناحية المثالية على كل طاقة اجتماعية جديدة تطلقها الأقليات المبدعة أن توجد نظما جديدة تستطيع بواسطتها تأدية رسالتها في المجتمع الذي تتولى قيادته، فإن فرض وعجزت الأقلية المسيطرة عن إنجاز رسالتها وأصرت على استخدام القوة الغاشمة التي أثبتت التجارب فسادها وضررها بالمجتمع ليتبع ذلك تفكك النظم القائمة².

لاشك أن ما ينقص العرب اليوم هو عملية تجديد حضاري، والذي هو عبارة عن فاعلية بشرية ترتبط بفاعليات أخرى يمثل بعضها شرطا ضروريا لحصوله، وهو قدرة الانسان العربي على الابداع بشقيه: الاختراع والاكتشاف، إذ لم يعرف التاريخ حضارة بدون اختراع أو مخترعين ولا بدون اكتشاف أو مكتشفين، هذا اضافة الى تطوير الافكار والعمل ووسائله، وإن حدث التجديد أو الفعل الحضاري فيجب ان يظل العرب محدّدون حضاريا لضمان استمرارية حضارتهم³.

ان جميع أسس ومقومات الحضارة متواجدة في الوطن العربي، ونجد على رأسها الطاقة البشرية التي لا تنضب فمعظم سكانه شباب، أضيف الى ذلك شساعة المساحة وتنوعها المورفولوجي والجيولوجي، فهي تحتوي السهول والهضاب والصحاري والجبال، وتنوع فيها الثروات الطبيعية من بترول وغاز وحديد وفوسفات وغيرها ويسودها تنوع مناخي بين الموسمي والصحراوي والقاري والموسمي مما يسمح بتنوع الثروات السطحية أيضا، وما يصبح أشد ضرورة لتحقيق الاقلاع هو وجود نية صادقة في التجديد الحضاري على مستوى القمة والقاعدة في ظل التمسك بالدين والأصول والابتعاد عن التقليد الأعمى مل ما هو غربي.

¹ محمد بشير، المرجع السابق، ص 62.

² أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، تقديم عبادة كحيل، ط1، المركز القومي للترجمة القاهرة 2011، ص76.

³ جيلالي بوبكر، المرجع السابق، صص 76-77.

الخاتمة:

بعد ان استعرضنا المعالم المضيئة والبراقة في تاريخ العرب و بعض أسباب انتكاساتهم الحضارية، يمكن الردّ على أولئك الذين جعلوا من التخلف الحضاري ظاهرة لصيقة بالمجتمعات العربية بأن الحضارة ظاهرة عالمية قد تظهر في أي منطقة بغض النظر عن الانتماء العرقي والبشري متى توافرت الشروط لذلك، كما ان التجديد الحضاري ضروري في بناء الحضارات واستمراريتها وهذا ما نلمسه نت خلال قول ابن خلدون بان المباني العظيمة لعهدنا نجد الملك الواحد يشرع في اختطاطها وتأسيسها، فإذا لم يتبع أثره من بعده من الملوك في اتمامها بقيت بحالها ولم يكمل القصد منها.

كما ان الركود الحضاري الذي شهده العرب في فترات من التاريخ وخاصة في العصر الحديث ما هو إلا قاعدة تسري وتنطلي على جميع الحضارات إذا لم تتق شر وأسباب عوامل الاندثار وفي هذا يصدق قول أبي البقاء شريف الرندي في مراثيته المشهورة للأندلس:

لكل شيء إذا ما تم نقصان
فلا يغير بطيب العيش انسان
هي الامور كما شاهدتها دول
من سره زمن ساءته أزمان

- أحمد المقرئ التلمساني، نفح الطيب من غصن الاندلس الرطيب، تحقيق احسان عباس، دار صادر، بيروت- لبنان 1988 .
- أحمد الشامي، محمد عبد العظيم أبو النصر، الحضارة الاسلامية انتشارها وتأثيرها في الحضارة الأوروبية، المهندسين مصر. 2006-2007.
- أرنولد توينبي، مختصر دراسة للتاريخ، ترجمة فؤاد محمد شبل، مراجعة محمد شفيق غربال، تقديم عبادة كحيلة، ط1، المركز القومي للترجمة القاهرة 2011.
- جورج انطونيوس، يقظة العرب، ترجمة ناصر الدين الاسد وإحسان عباس، ط8، دار العلم للملايين، بيروت، يناير 1987،
- حسين مؤنس، فجر الاندلس، ط2، الدار السعودية للنشر والتوزيع، جدة، السعودية 1985.
- رأفت غنيمي الشيخ، فلسفة التاريخ، ط1، دار الثقافة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1988م.
- رينهارت دوزي، تاريخ مسلمي اسبانيا، ترجمة حسن حبشي، مطابع الهيئة العامة المصرية للكتاب، مصر 1994.
- شارل سنيو بوس، تاريخ الحضارة، تعريب محمد كرد علي، مكتبة الظاهر، القاهرة 1908.
- شوقي ابو خليل، الحضارة العربية الاسلامية وموجز عن الحضارات السابقة، ط2، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان- دار الفكر دمشق - سورية 2002.
- عبد الحليم عويس، التكاثر المادي واثره في سقوط الاندلس، ط1، دار الصحوة للنشر والتوزيع - القاهرة، مصر 1994.
- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، دار الفكر، بيروت، ط1، 1998.
- مانويلا مانشاناريس، المستعربون الاسبان، ترجمة وتقديم جمال عبد الرحمن ، ط1، المجلس الاعلى للثقافة القاهرة 2003.
- محمد الدعيمي، الاستشراق -الاستجابة الثقافية الغربية للتاريخ العربي الاسلامي، ط2، مركز داسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان 2008.
- محمد بشير حسن راضي العامري، مظاهر الابداع في التاريخ الاندلسي، ط1، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان الاردن 2012.

- هاميلتون غب وهارولد باون، المجتمع الاسلامي والغرب، ترجمة ودراسة د احمد ايش، ج1. دار الكتب الوطنية، ابو ظبي 2012.
- وات منتغومري، فضل الاسلام على الحضارة الغربية، نقله الى العربية حسين أحمد أمين، ط1، دار الشروق، بيروت 1983.
- جيلالي بوبكر، البناء الحضاري عند مالك بن نبي، دار المعرفة، باب الواد الجزائر، ط2010، 1.
- ديتر سينغاس، الصدام داخل الحضارات، ترجمة شوقي جلال، ط1، دار العين للنشر بالاسكندرية 2008.
- زيغريد هونكه، شمس العرب تسطع على الغرب، نقله عن الالمانية فاروق ييغون وكمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري، ط8، دار الجيل - دار الافاق الجديدة، بيروت 1993.